التضمين في الحروف: دراسة تطبيقية على بعض حروف الجـــر

د. يوسف وسطاني
جامعة فرحات عباس- سطيف

خلاصة:

تستخدم الأساليب العربية "التضمين" بمفهومه النحوي والبلاغي في التواصل والتعبير عن أدقّ المعاني، ويقوم على إشراب لفظ معنى آخر في نطاق التوسع اللغوي، إذ يقع في مستوى أقسام الكلم الثلاثة في العربية: الاسم، الفعل والحرف. ويعتمده علم النحو حرصاً على استقامة الكلام وسلامة معناه، في حين يعنى به علم البلاغة من جهة علاقته بالحقيقة والمجاز، والجودة في أداء المعنى والتأثير في المتلقي.

وفي هذا المقال عرض موجز لمفهوم التضمين، وأنماط منه في تطبيقات على بعض حروف الجرّ، كقسم قائم بذاته في أقسام الكلم، استجلاءً لبعض المعاني التي تتبادلها هذه الأدوات من خلال نماذج تطبيقية.

Résumé :

L'implicite, est un moyen linguistique, en langue arabe qui utilisé à bon escient, permet au locuteur de diversifier ses expressions tant verbales, nominales que prépositionnelles, et ce dans tous les domaines de la communication. Cette étude expose l'utilisation de « l'implicite » entre les prépositions de la langue arabe à travers quelques applications extraites des versets coraniques, hadiths du Prophète « QSSL » et vers de poésie.

1- المقدمة:

اللغة: أية لغة بشرية - نظام قائم من الرموز تواضعت عليه جماعة معينة - لأغراض أبرزها الاتصال والتواصل، وهذا وذاك من مميزات وخواص الإنسان، الإنسان الذي كرمه المولى عز وجل أيما تكريم، وعلى كثير من مخلوقاته فعلّمه الأسماء كلها، واستخلفه في الأرض لأمانة جوهرها ابتلاء، لا يكون إلا في عمل ومعاملة، أرقى وسائلها اللغة، بخصائصها العلمية المعروفة، في نطاق المؤهلات والخصائص الاجتماعية لهذا الإنسان المكرم.

والعربية كسائر لغات البشر، لها نظامها اللساني الخاص بها، ومميزاتها التواصلية، إضافة إلى ما أضفاه عليها الدين الإسلامي من قدسية كونها وعاء لآخر الكتب السماوية، تقتضي من المنتمين إليها- في زمن زاحف على المقومات الروحية والحضارية- معرفة قواعدها ونظامها الصوتي والصرفي والتركيبي، ومدى تفاعل عناصره في الأداء اللغوي، واستجلاء المعاني ومعاني المعاني، من أرقى الأساليب وأدق التعابير، وأسمى صور البيان، أو ليست لغة وحي سماوي خالد، أخرس البلغاء وفطاحل الكلام، ووعاء لتراث لساني ضخم وضعه أفذاذ لم يتوخوا منه جزاء ولا شكورا إلا مرضاة الله وفهم كلامه المنزّل، وصونه من أشكال اللحن والرطانات واللكنة، فوضعوا بجهودهم المخلصة نظاما لسانيا متكاملا من الصوت إلى التركيب، ساير كل العصور العلمية، وما يزال إلى يومنا هذا يقف جنبا إلى جنب مع ما توصل إليه البحث اللساني المعاصر، وإن اعتراه ما يمكن أن يتّسم به أي بحث علمي من ملاحظات واستدراكات.

وما عرف عن نظام اللغة العربية أنه نظام متكامل من البسيط إلى المركب، وأعني من أصغر وحدة أو جزء وهو الصوت، إلى التركيب المستقل بمعناه، ولا يتسنى لدارس هذا النظام توظيفه في الوقوف على المضامين، بعرفة أجزائه أي علومه،

وذاك يعني الانطلاق من الجزء إلى الكل كضرورة ملحة في عملية التحليل للنصوص، بعد معرفة خصائص مستويات هذا النظام مما يشكل منهجا لغويا متكاملا من شأنه تمكين الدارس من سبر أغوار التعبير الراقي في مختلف المجالات، وبهذا الصدد يطرح هذا المقال موضوع التضمين في الحرف، وهو قسم من أقسام الكلام في اللغة العربية، ودلالته في الجملة العربية وذلك وفقا للعناصر الآتية:

1- تعريف التضمين وحقيقته.

2- مستويات التضمين.

3- التضمين في الحرف مع نماذج تطبيقية.

4- خاتمة.

1- **تعريف التضمين:** جاء في لسان العرب: ضمّن الشيءَ الشيء: أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع، والميت القبر ... وضمّنه أودعه فيه[1].

وضمنه الشيء تضمينا فتضمنه عنه مثل غرّمه، وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمّنته إياه، والمضمّن من الشعر ما ضمّنته بيتًا، والمضمّن من الشعر ما لا يتم معناه إلا بالذي يليه، وفهمت ما تضمّنه كتابك: أي ما اشتمل عليه وكان في ضمنه[2]، وتضمّنه بمعنى اشتمل عليه[3].

ومن المعنى اللغوي لمصطلح التضمين ينجلي مدلوله الاصطلاحي في علمي النحو والبلاغة، والذي ينعكس في إعطاء لفظ (اسم، فعل، أو حرف)، معنى آخر، وبتعبير المختصين إشراب كلمة معنى أخرى في نطاق ما يستوجبه التركيب الاسنادي الوارد فيه، ما يعني بصورة أو بأخرى إيداع شيء شيئا آخر سواء أكان هذا الإيداع على الحقيقة أم على المجاز[4].

وواضح أيضا أن التضمين موضوع نحوي بلاغي، يهتم به الأول (أي النحو)، في السعي إلى وضع عبارة سليمة التركيب يحسن السكوت عليها، متفقة اتفاقا تاما

وقواعد العربية مع عدم إيلاء الاهتمام للناحية الفنية والجمالية(البيانية) لهذا التركيب، في حين يسعى علم البلاغة- إضافة إلى ما أشير إليه عند النحاة من خصائص تركيبية- إلى الاهتمام بالجوانب البيانية والبلاغية للتركيب، لنخلص - أخيرا - إلى أن مصطلح "التضمين "ظاهرة لغوية مشتركة بين علمي النحو والبلاغة، ويتمثل مفهومه في إشراب لفظ معنى لفظ آخر لمقتضيات الخطاب، وهاهو "سيبويه "يشير إلى معنى التضمين بقوله: "ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام"[5].

والتضمين بمعناه البلاغي قد يتعدى إشراب لفظ معنى لفظ آخر إلى معنى الاقتباس، ذلك أن المصطلحين يتداخلان في مفهوم واحد هو: الأخذ المشروع[6]، خدمة للمعنى المراد تبليغه، يقول ابن رشيق في باب التضمين والإجازة: "وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس له ثقوب في العلم ولا حذق بالصناعة، فأما التضمين فهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل"[7]. وقد فصل النقاد بين المصطلحين فأعطوا للتضمين المفهوم الذي أشرنا إليه سابقا، فهو كما لوحظ من التعريف السابق، أما الاقتباس فهو تضمين الكلام شيئا من القرآن أو الحديث أو الشعر، وقد يكون باللفظ أو المعنى، دونما تغيير وقد يقع بغير، ذلك[8].

وما يهم المقال هو مصطلح التضمين بمفهومه النحوي، ومحاولة ترصد بعض وظائفه من خلال بعض التراكيب الإسنادية، وقبل عرضها نلج إلى مستويات التضمين فأين موقعه من أقسام الكلام العربي؟.

2- **مستويات التضمين:** لمفهوم التضمين آراء عند علماء اللغة بين الحقيقة والمجاز، وإذا كان المجال لا يتسع هاهنا لبسط بعض الإشارات بهذا الشأن، ولتلافي أي شرود قد يحيد بالمقال عن هدفه، إيمانا بمدى تلاحم علمي النحو والبلاغة في

الكشف عن المعنى، فإن الإشارة تجدر إلى وجوب ذكر مستويات التضمين معتمدين على مفهوم واحد هو: إعطاء لفظ معنى لفظ آخر في مقتضى سياق معين لأداء معنى معين.

وأما مستوياته فهو يقع على أقسام الكلم الثلاثة، نعرض لذلك بشيء من الإيجاز مع التركيز على القسم الثالث أو الحرف.

التضمين في الاسم: يقع ذلك كثيرا في الأساليب العربية، فترد أسماء متضمنة معاني أسماء أخرى، وفقا لمعطيات لسانية نذكر منها الآتي:

أ- **تضمين الاسم معنى الفعل:** ويتجلى هذا المنحى التضميني في نمط من الأسماء العاملة عمل الفعل أي مؤشرات لفظية في التركيب ألإسنادي وحركته الإعرابية وهي على نوعين:

* **الأسماء الجامدة:** ومنها: المصدر، اسم المصدر، وأسماء الأفعال (أسماء لم تؤخذ من غيرها ودلت على صفات أو معنى).

* **الأسماء المشتقة:** ما أخذت من غيرها وذلت على صفة وموصوف ونعني بها المشتقات اسم الفاعل وغيره.

ولما كان الفعل أقوى العوامل، والمصدر أصل المشتقات (المدرسة البصرية)[9]، لدلالته على الحدث والفعل فإنه يعطي ما تضمن معناه من الأسماء القادرة على العمل فيعمل المصدر عمل الفعل كما في قوله تعالى: ***وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ*** البقرة/ 251- فقد عمل المصدر "دفع" عمل الفعل في حالة إضافة نصب لفظ الجلالة الله.

ومن المشتقات التي تعمل عمل فعلها اسم المفعول الذي يصاغ من المبني للمجهول تعدية ولزوما كما في قوله تعالى: ***إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ*** هود/ 103، مجموع اسم مفعول عمل في

لفظ الناس نائب فاعل، والمشتقات في العربية كثيرة ولها قواعد عملها عمل الأفعال المشتقة منها.

ب- **التضمين في الفعل**: يقع بين الأفعال إذ يمكن تضمين فعل معنى فعل آخر، فيجري مجراه ويستعمل استعماله مع إرادة معنى المتضمن[10]، فقد يكون ذلك في مجال التعدية إلى المفعول أو بالحرف كأن يكون فعل بمعنى فعل آخر، يتعديان بجارّين مختلفين- يمكن توسعا في العربية- أن يوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى الآخر، أو يكونان متعديين بأنفسهما أو يكون أحدهما متعديا بنفسه والآخر بحرف الجر، أو يحل حرف أحدهما محل الآخر[12].

ومن أمثلة إشراب فعل معنى آخر- فعل صَارَ – الناقص للدلالة على التحول من صفة إلى أخرى – وكثيرة هي الأفعال التي حملت هذا المعنى، وعملت عمل صَارَ الناقص برفع الاسم ونصب الخبر منها أفعال: تَمَّ، كَمُلَ تَمَثَّلَ، عَادَ، آلَ، رَجَعَ، ارْتَدَّ[13].

وهناك أفعال كثيرة تتضمن معاني أفعال أخرى وتؤدي وظائفها تأدية كاملة.

مما يدل على اتساع أساليب اللغة العربية وقدرتها على استيعاب أدق المعاني بأرقى وسائل التعبير، من ذلك أفعال المدح والذم (نعم، بئس)، وهما ملازمان لصيغة واحدة مختلفان عن الأفعال في كونهما جامدين، وهما للمبالغة في المدح والذم – على مذهب جمهور النحاة[14]، إذ يأخذ معناهما كل فعل ثلاثي صالح لقياس "أَفْعَلَ" في التعجب منه – وذلك بتغيير صيغته –، وعلى سبيل المثال: فعل "سَاءَ" مثل قوله تعالى: ***بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا*** – الكهف/29 – وأفعال مثل: شَرُفَ، حَسُنَ، وكَرُمَ، وغيرها.

جـ- **التضمين في حروف المعاني**: ما هو الحرف؟: هو القسم الثالث من أقسام الكلم في العربية، كما هو واضح عند ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ** واسم وفعل ثم حرف الكلم

والحرف لا يحمل معنى في نفسه ولكن في سواه، فهو يخلو من علامات الأسماء والأفعال وعلى قسمين غير مختص يدخل على الأسماء والأفعال نحو: "هل"، ومختص وينقسم إلى قسمين: ما يختص بالأسماء مثل الحرف في، وما يختص بالأفعال مثل لَمْ[15]. ويرادف مصطلح الأداة لفظ الحرف في الاستعمال، لأن الأداة تؤدي وظيفة نحوية عامة مركبة مع غيرها تتضح في التعبير عن المعنى النحوي العام[16]، ولعل أبرز وظائف الأداة هو التعليق، وهو أشهرها، ومن هنا فاستعمال الحرف والأداة في المقال سيكون بمعنى واحد وإذا أشرنا إلى الوظيفة العامة التي تقوم بها الأداة المتمثلة في "التعليق" فإن هذا المصطلح إذا قلنا تعلق هذا بهذا (مررت بزيد) مثلا فإن الحرف "ب" وهو جار وظيفته (إيصال معنى الفعل إلى الاسم[17]، أي فعل المرور إلى زيد، فحرف الباء متعلق بالفعل مررت).

ومعلوم أن الأداة على أنواع وأصناف، وتبعا لذلك فإن وظائفها بلا ريب تتبعها تنوعا واختصاصا، وحينئذ تسمى هذه الأدوات بل تتلون بلون الوظيفة التي أدتها وهي كثيرة في العربية، نذكر قسما منها، وهو ما يسمى عند النحاة بحروف المعاني، وهي على خمسة أنواع:

أ- أحادية: وهي الهمزة، الألف، الباء، التاء، السين، الفاء، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الواو والياء.

ب- ثنائية: وهي آ، أم، أن، إن، أو، أي، بل، عن، في، قد، كي، لا، لم، لن، ما، مذ، مع، من، هل، وا، وي، يا، لو، وأل المعرفة.

جـ- ثلاثية: أجل، إذن، إلى، ألا، أما، أنّ، إنّ، أيا، بلى، ثمّ، خلا، ربّ، سوف، عدا، على، ليت، نعم، هيا، منذ.

د- رباعية: إلاّ، ألاّ، أمّا، إمّا، حاشا، حتّى، كأنّ، كلا، لعلّ، لمّا، لولا، لوما، وهلاّ.

هـ- **خماسية**: لكنّ[18].

وواضح من خلال هذا التصنيف -الشكلي- تداخل الأدوات من حيث وظائفها ومعانيها، ولتجنب التفصيل فيها، نشير إلى نمط فيها هو: حروف الجر بإيجاز، لإجراء تطبيقات عملية على البعض منها، تتجلى من خلالها، مظاهر التبادل الوظيفي بين البعض منها في سياقات مختلفة ولنبدأ بالبعض منها، على سبيل التوضيح لا التفصيل.

لحروف الجر وظيفة تركيبية لا تقل أهمية عن وظيفتي الاسم والفعل، وبغض النظر عن الآراء الفردية والخلافية، رأيناها لا تزيد على واحد وعشرين حرفا، موزعة على فئتين هما[19]:

1- الحروف الأكثر استعمالا وهي: الباء، اللام، الكاف، الميم، عن، في، مذ، إلى، على، منذ، ربّ، حتى، واو القسم وتاؤه.

والمؤكد أن هذه الأدوات مرتبة مع غيرها من أقسام الكلم تؤدي معان كثيرة وإن تعينت لمعان خاصة بها في التصنيف، سنقف على البعض منها من خلال بعض النماذج المقترحة للتحليل.

2- أما الفئة الثانية: فتتشكل من سبعة أحرف ليست في الأصل جارّة تستعمل في سياقات أخرى، ويدخل بعضها في تراكيب خاصة فيكتسب طابع حروف الجر، والبعض الآخر يعتبر حرف جر في لهجات قبلية خاصة، وهذه الأحرف هي:

* **لولا**: حرف امتناع لوجود، تكون حرف جر إذ وليها الضمير المتصل الموضوع للنصب والجر كالياء والكاف والهاء[20]، مثل لولاي، لولاك ....

* **كي**: أصلها حرف نصب للفعل المضارع قد تكون حرف جر بمعنى لام التعليل[21]، إذا وقعت بعدها: ما الاستفهامية، فتكون حينئذ حرف جر كاللام: كيمَ فعلت هذا- على تقدير لم فعلت هذا؟.

* خلا- عدا-حاشا: هي أدوات استثناء تكون أفعالا ماضية إذا كان ما بعدها منصوبا وتكون أحرف جر إذا كان ما بعدها مجرورا[22].

* لعل: ناسخ حرفي للترجي من أخوات إنّ في نصب المبتدأ ورفع الخبر وهي حرف جر في لغة "عقيل" يقولون: لعل زيد قائم وروى الجرّ بها: أبو زيد والفراء والأخفش وغيرهم من الأئمة[23].

* متى: اسم مبهم يكون للاستفهام تارة وللشرط أخرى حسب التركيب الوارد فيه، فتكون حرف جر في لغة "هذيل"[24].

وإدراج هذه الأدوات ههنا من باب تأديتها لوظيفة الجر في سياقات خاصة وإن كانت قليلة التوظيف في هذا المضمار.

3- التضمين في الحرف وتبادل الوظائف بين حروف المعاني: إن الحرف يتعلق بالفعل والاسم معا فتناوله يشمل أقسام الكلم وقد سبقت الإشارة في معرض الحديث عن مستويات التضمين عن الحرف بأنه قسم قائم من أقسام الكلم في العربية، جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل[25].

يعني أنه لا يحمل معنى في نفسه مفتقرا إلى ما يكمل معناه، وكذا للمعنى الاصطلاحي للتضمين- نحوا وبلاغة -، فإن لفظ الوظيفة هنا بحاجة إلى لمحة مبينة لكنهه؛ في وضعه المشار إليه في عنوان المبحث. فالوظيفة تتجلى من تركيب الكلم بعضها ببعض، في تركيب إسنادي متكامل يؤدي معنى مستقلا، وهي بذلك المعنى المتوخى من هذا التأليف بين الكلمات والمحصل باستخدام الألفاظ أو الصورة الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي[26].

وبالتالي – فإن الحروف – وهي التي جاءت لمعنى وليست باسم ولا فعل[27]، إنما هي مختلف الأدوات مثل: ثم، سوف، والباء وغيرها وأشرنا إلى أن أبرز وظائفها التركيبية هي التعليق، ثم تؤدي ما أنيط بها من معنى داخل الجمل، أي هناك معنى

نحوي عام إضافة إلى ذلك المعنى الخاص الذي تتلون به، ضمن ما يسمى بتبادل الوظائف بين الأدوات وفقا لمقتضيات التضمين الحرفي. وفي هذا المجال نورد بعض النماذج التطبيقية، تقتصر على الحروف الجارّة الأصلية الأكثر استعمالا، مع توضيح أوجه التضمين فيها، وأثره على المضمون على أن يكون التصنيف على المنوال التالي:

1- **حرف الباء**: حرف جر مختص بالاسم يجر الأسماء الظاهرة والضمائر المتصلة ولا تقتصر على نوع دون آخر، وأشهر معانيها الإلصاق[28]، ومعناه الاختلاط بشيء، وملامسته أي إلصاقا حقيقيا كما في قوله تعالى: * **فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ** *- النساء/43 - فحرف الباء، بعد وظيفة الجر أدى معنى الإلصاق الحقيقي أي مسح الوجه والأيدي دونما حائل بين الأعضاء (إلصاق اليد بالوجه واليدين)، وإذا كان لكل حرف جر معنى أصلي، يتبادر إلى الذهن عند سماعه يؤديه على سبيل الحقيقة لا المجاز - كما يرى البعض[29]- فإن لهذه الحروف معان كثيرة تستنبط من التراكيب الواردة فيها - من ذلك - حرف الباء.

أ- "**الباء**" **بمعنى**: "**مع**"[30]، كما في قوله تعالى: * **قَدْ جَاءَكُم الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِنْ رَبِّكُم.** * - النساء/ 170 -، والتقدير: قد جاء الرسول محقا فهي حال بمعنى: مع الحق.

ب- "**الباء**" **بمعنى**: "**مِن** "، قد تتضمن الباء معنى: "من"، كما في قوله تعالى: ***عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا** *- الإنسان/06 - والحرف من حرف جر من معانيه ابتداء الغاية والتبعيض، وكلاهما صالح لفعل الشرب من العين المذكورة في الآية الكريمة بتقدير: عينا يشرب منها عباد الله فتكون الباء بذلك متضمنة معنى مِن واستعمالها في الآية استعمال مجازي.

جـ- "الباء" بمعنى:"عن": "عن "الحرفية التي معناها الأصلي المزايلة[31]، يعبر عنه النحويون بالمجاوزة والمراد ابتعاد شيء ما وانفصاله عن آخر وتكون المجاوزة حسية ومعنوية، وقد ضمّنت الباء معنى عن، كما في قوله تعالى: ***سَأَلَ سائل بعذابٍ واقعٍ*** المعارج/01، ففعل سـأل لا يتعدى بالباء، وإنما بـ "عن" والتقدير: سأل سائل عن عذاب واقع وتعدية الفعل "سأل" بالباء من بلاغة القرآن ليصلح الفعل للاستفهام والدعاء والاستعجال[32]، وتضمين الباء بمعنى "عن "من معانيها بعد فعل السؤال، وكذا معنى الإخبار كما في قول صلى الله عليه وسلم: ***ألَا أخبركم بأهل الجنة كلّ ضعيف مضعّف لو أقسم على الله لأبرّه، ألا أخبركم بأهل النار كل عتّلّ جواض مستكبر***، صحيح البخاري، حديث 44، جزء6، ص279.

د- "الباء" بمعنى:"في": حرف جرّ دلالتها الأصلية هي الظرفية أو الوعاء - كما يسميه بعض النحاة- وتكون ظرفيها للحقيقة والمجاز، لنقرأ البيت التالي:

إنّ الـرزية لا رزية مثلها ** أخواي إذ قُتلا بيوم واحد.

فقد ضمنت الباء معنى الظرفية والتقدير في يوم واحد بمعنى الظرفية الزمانية.

هـ- "الباء" بمعنى: "على": على: حرف جر للظاهر والمضمر والمصدر المؤول ومعناها الحقيقي هو الاستعلاء الحقيقي الحسي والمعنوي المجازي[33]، من ذلك ما جاء فيْ قوله تعالى: ***ومنْ أهْلِ الكِتَابِ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إلَيْكَ*** آل عمران/75، في لفظتي: قنطار، دينار، حرف الجرّ الباء الذي ضُمّن معنى "على"لأنّ المؤتمن يكون مستعليا على المؤتمن عليه فهو استعلاء معنوي واضح أشبه حرف الجر الباء في الآية الكريمة، علما أن حرف" الباء "يقع زائدا في مواضع خاصة، أي بلا وظيفة دلالية وإنما للتوكيد، ليس لزيادتها قوانين محددة ولا يسع المقام لذكر مواقع زيادتها ههنا.

2- **الحرف الثاني**: "مِنْ" حرف جر يكون غير زائد وزائدا[34]، وما يهم المقال هو الأول الذي تأخذ أربعة معان: ابتداء الغاية في المكان، وانتهائها، وبيان الجنس وللتبعيض والتجزئة،- والمعوّل عليه في تحديد هذه المعاني إضافة إلى وظيفة الجر- هي: تركيبها في الكلام غير أنها كباقي حروف الجر قد تحمل معاني لحروف أخرى من ذلك ما يلي:

أ- "من "**بمعنى** "في": سبق الحديث عن هذا الحرف وهو للظرفية: وشاهد هذا التضمين في قوله صلى الله عليه وسلّم: ***لن ينجي أحدا منكم عمله... ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمة... سدّدوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا***حديث 50، ج08، ص178، الدلجة: الظلام وشيء من الدلجة أي شيء من المشي في الظلام.

وشبه الجملة في الحديث: منكم: تتكون من "من" الجارة التي لا تفيد التبعيض لذلك يمكن تضمينها معنى "في" الظرفية المجازية أي فيكم وعاء يشتمل كل الناس دونما استثناء.

قال تعالى: ***قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمْ الذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَهِ أَرُونِي مَاذا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ*** فاطر/40، لفظ الأرض مجرور بمن وقد ضمنت معنى "في" التي للظرفية علي تقدير: ماذا خلقوا في الأرض، فقد وردت مجرورة بفي في الكثير من آيات الذكر الحكيم من ذلك قوله تعالى: ***وإذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلَائكَةِ إني جَاعلٌ في الأَرْضِ خَليفة***البقرة/30.

مع ملازمة حرف الجر لمعنى الظرفية الحسية وقد يحذف حرف الجر كما في قوله تعالى: ***ياقَوْم ادخُلوا الأرْض المقدّسَة التي كتب الله لكم*** المائدة/21.

ب- "مِنْ" **بمعنى "عنْ"**: "عنْ" من الحروف الجارة للظاهر والمضمر والمؤول تكون اسما كما تكون حرفا، إذا دخل عليها حرف الجر كانت بمعنى الناحية[35]، وما بعدها

مجرورا بالإضافة وقد ذكرت معانيها الأصلية في مبحث سابق، وقد يأخذ الحرف "منْ" معنى "عنْ" كما في قوله تعالى: ***وجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتُ بالحقِ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيد*** ق/19، منه: جارّ ومجرور تضمّن الجار معنى "عنْ "بمعنى المجاوزة لأنّ فعل" تحيد" يفيد الفرار والتهرّب، لتجنب أسباب الموت[36]، أي محاولة تجاوزها.

وفي قول أحدهم:

ويا أمينا على الأسرار مطّلعا ** أصمت ففي الصمت منجاة من الزلل.

المجرور: الزلل – تكنيه عن الخطايا- والمراد تجاوزها بعد العلم بها، فضمّنت "منْ "معنى "عنْ "التي تفيد المجاوزة والابتعاد.

جـ- "منْ" بمعنى "على": ذُكرت معاني "الحرف" في مبحث الباء، ومن تضمينها معنى "منْ" ما جاء في قوله تعالى: ***ونَصرْنَاهُ من القَوْمِ الّذينَ كَذَّبُوا بآياتِنَا إنّهُم كانُوا قَوْمَ سُوء فَأغْرَقْنَاهُم أجمَعِين*** الأنبياء/77، من القوم: تضمنت "منْ" معنى "على " والتقدير: على القوم وهي في هذا المقام للاستعلاء المعنوي المجازي.

د- "منْ" بمعنى "الباء": سبق الحديث عن الحرفين وعن المعاني الأصلية لكلّ منهما ومن مواقع إحالة معنى "منْ" إلى "الباء" ما جاء في قوله تعالى: ***وتَرَاهُم يُعرضُون عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طرف خفيّ*** الشورى/45. من طرف: حرف الجر تضمن معنى" الباء "لأن الاستعانة والنظر هنا بالطرف يحتاج إلى ذلك المعنى، وللتذكير فإنّ الحرف "منْ"، مثل قرينه "الباء "يقع زائدا وذلك إذا تعدّت وظيفتها الأصلية في الجر في التركيب الوارد فيه، ويكون ذلك بشروط أهمها أن يكون التركيب في سياق النفي أو النهي أو الاستفهام، وأبرز وظائفها الدلالية حينئذ التوكيد[37].

3- **الحرف "إلى"** :

أ- **بمعنى "مَعَ"**: تأتي "معْ" بسكون العين كما تأتي محركتها "معَ" وفي الحالة الثانية فهي اسم مضاف إلى ما بعدها منصوب على الظرفية وتنوّن[38]، وتسكين العين لغة "غُنْم" و"ربيعة" لا ضرورة خلافا لسيبويه[39]، وهي لموضوع اجتماع الذوات وزمانه، وقد ورد حرف الجرّ "إلى" بمعنى "مع" في قوله تعالى: ***ولا تأْكُلُوا أمْوَالَهم إلى أمْوَالِكُم*** النساء/02، والتقدير: لا تأكلوا أموالهم مع أموالكم، فالمعنى لاجتماع الذوات كما سلف القول، وقد تعلّق حرف الجرّ هنا بفعل "تأكُلوا" على التضمين بمعنى المصاحبة والاجتماع وإيصال معنى الفعل إلى الاسم المجرور[40].

ب- **"إلى "بمعنى "في"**: الأصل في "إلى" انتهاء الغاية سواء أكان ذلك في الزمان أم كان ذلك مكانا، وهي حرف جر متصرف يجر الظاهر والمضمر والمؤول[41]، وقد تضمن معنى حرف الجرّ "في" كما في قوله تعالى: ***الله لا إله إلّا هُوَ ليَجْمَعَنَّكُم إلى يَوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدقُ من اللهِ حَدِيثًا*** النساء/87.

يوم القيامة بتقدير: في يوم القيامة للظرفية الزمانية والمكانية.

جـ- **"إلى "بمعنى "الباء"**: الباء كما ذكر سابقا للإلصاق والاستعانة، وهي حرف زائد وغير زائد، وقد تأتي "إلى" بمعناها مستعملة بمعنى "الباء"، كما في قول الشاعر:

ملك*القناعة لا يخشى عليه ولا ** يحتاج فيه إلى الأنصار والخول.

التركيب الذي وردت فيه "إلى" يتضمن معنى الاستعانة التي تفيده "الباء" فالقانع مرتاح لا يحتاج إلى الأنصار والإماء والعبيد، ومن ثمة تضمنت "إلى" هذا المعنى لأن دلالتها انتهاء الغاية يعني الاعتماد على الحاشية والخدم وهو معنى: الاستعانة المذكور.

4- **الحرف: على:**

أ- **"على "بمعنى "في"**: سبقت الإشارة إلى المعاني الأصلية للحرفين، في مباحث سابقة ونبدأ بالتضمين الأول بين على في معنى" في": وذلك في قوله تعالى: ***ودَخَلَ المدينة على حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أهلِهَا*** القصص/15، على حين غفلة تضمن حرف الجرّ بمعنى الظرفية، فضمن معنى "في" وواضح أنها ظرفية زمانية لأن الحين تقدير مبهم للزمن يمتد ويتقلص وفقا لما أنيط به من دلالة زمنية، علما أن معنى "على" الأصلي هو الاستعلاء حقيقة ومجازا.

ومن قول المتنبي:

وما صبابة مشتاق على أمل ** من اللقاء كمشتاق بلا أمل.

الأمل شعور ينتاب النفس ويمنيها بالأفضل ساعة الأسوء، فالنفس ظرف ووعاء لهذا الأمل والمقصود بـــ "على أمل" تضمين "على" معنى "في" الظرفية المجازية، فالأمل مودع فيها، فعبّر بعلى لإفادة ما يعلي النفس ويسمو بها حين يعتريها الأمل.

ب- **"على "بمعنى "منْ"**: أشير في المباحث السابقة إلى المعاني الأصلية والفرعية للحرفين، ونقف في هذا المبحث على تضمين "على" معنى "منْ" كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ***ليأتينّ على النّاس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد لحدا يأخذها منه ويُرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قله الرجال وكثرة النساء*** صحيح البخاري، حديث 18 جزء02، ص222-223. على الناس: جار ومجرور، و"على "تضمنت معنى "منْ"[42]، أي من الناس لإفادة التبعيض، كما قد تأخذ "على" ههنا معنى الظرفية المجازية فيقدّر بـــ: يأتي في الناس، وذلك لأن الحديث الشريف لا يشمل كل الناس وإنما المقصود جزء فيهم في ظروف معينة.

5- **حرف اللام "لـ"**: اللام المكسورة عاملة وعملها على ضربين: الجر والجزم في الأفعال، وهما متغايرتان وإن اتفقا لفظا[43]، وما يعنينا هي الأولى الجارة التي من أشهر معانيها الملكية والاختصاص، وما يعرض من نماذج يتعلق بهذه اللام المتصلة بالأسماء مع إيراد بعض أوجه التضمين بينها وبين بعض حروف الجر الأخرى.

أ- **"اللام "بمعنى "عنْ"**: " من "الجارة لها معان كثيرة قد تتضمن اللام المفردة الجارة بعض هذه المعاني من ذلك قول أحدهم:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ** حسدا وبغضا : إنه لذميم.

لوجهها: اللام الجارة ههنا ضمنت معنى "عنْ"للمجاوزة، أي انفصال المعبِّر عن المعبَّر عنه (الوجه) أما اللام فهي للتبيين والتبليغ على المجاز لأن الوجه لا يخاطب، ونلاحظ مدى ارتباط المعنيين: الأصلي والتضمين لحرف اللام في هذا البيت.

ب- **"اللام "بمعنى "في"**: في قول الشاعر:

يا نظرة ما جلت لي حسن طلعته ** حتى انقضت وأدامتني على وجل.

شبه الجملة: لي: لـِ + ياء المتكلم : في محل جر بحرف الجر، والتركيب الوارد فيه يبين. تعلق شبه الجملة بالفعل جلت: بمعنى ظهرت واتضحت صورتها (حسن الطلعة) فهو انعكاس "في" النفس الشاعرة بالصورة، وحينئذ يقبل حرف اللام تضمين معنى "في" الظرفية المكانية على المجاز، لأن النفس ههنا وعاء "لالتقاط" حسن الطلعة المعبر عنه، وعبر باللام المفردة في البيت لأن معناها الاستحقاق[44]، لأن الفعل "جلت" مستحق لا يقبل الملكية والمعنى للتبيين والاستحقاق والاختصاص (صورة خاصة بالمتكلم).

جـ- "اللام "بمعنى "إلى": أشير إلى البعض من معاني الحرفين الأصلية والفرعية فيما سبق من مباحث، وندرجها هنا لام الجر بمعنى إلى وذلك كما جاء في قوله تعالى: ***وهُوَ الّذي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرَى بين يَدَي رَحْمَتِهِ حتّى إذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فأنْزَلنَا به المَاءَ فأخرجنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثمَرات كَذَلكَ نُخرِجَ الموْتَى لعلكم تذَّكَرون*** الأعراف/57.

الجار والمجرور: لبلد: اللام المفردة حرف جر للاستحقاق والتخصيص للمجرور، وفي هذا النطاق يمكن تضمينها معنى "إلى" بتقدير: إلى بلد، علما أنّ المعنى الأصلي لهذا الحرف هو: انتهاء الغاية المتمثلة في تلقي الرياح المحملة بالسحاب الماطر رحمة من رب العالمين.

6- <u>حرف "عن"</u>:

حرف جر متصرف لجر الأسماء الظاهرة والمضمرة والمصادر المؤولة وتكون اسما إذا دخل عليها فلا تجر بغير "من" وهي حينئذ اسم بمعنى جانب(45)، وما يهم المقال هو كونها حرف جر، ما يهم المقال هو كونها حرف جر، عُرِف بعض معانيها الأصلية وعلى غرار مثيلاتها في الجر يمكن تضمينها البعض من هذه الحروف من ذلك:

أ- **"عن "بمعنى "منْ"**: منْ جارة متصرفة في الجر بمعانيها الكثيرة، لما تكون غير زائدة، يتضمن بعض معانيها الحرف "عنْ" كما في قوله تعالى: ***أولئِكَ الّذين نتقبَّلُ عنهُم أحسنَ ما عَمِلُوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحابِ الجنَّةِ وعْدَ الصدق الذي كانُوا يُوعَدُون*** الأحقاف/16، عنهم: جار ومجرورٌ متعلقان بفعل نتقبل، وهذا الفعل يقبل الحرف "منْ" إذا كان بمعنى ابتداء الغاية فيتضمن معناه الحرف "عنْ" بتقدير: نتقبل منهم، لمعنى التضمين فقط، وتبقى الآية الكريمة كسابقاتها ولاحقاتها بإعجازها الحرفي واللفظي والتركيبي دونما تأويل يذكر.

ب- " عن "بمعنى "الباء": للحرفين معان -أصلا وفرعا- وكلاهما يقبل تضمن معنى من معاني الآخر، وهاهي "عنْ "بمعنى الباء في قول أحدهم:

فلا كمدي يغني ولا لك ذمّة ** ولا عنك إقصا ر ولا فيك مطمع.

لَقَيتُ أمورا فيكِ لم ألق مثلها ** وأعظم منها منك ما أتوقع.

الشطر الثاني من البيت الأول: ولا عنك إقصار: المراد عدم المجاوزة إلى الغير، وجرّ – المصدر- بـــ "عنْ" للمعنى المذكور، غير أن تضمين هذا الجار بمعنى "الباء "وارد في هذا السياق – لأن من معاني الباء- الإلصاق والمصاحبة، في أمر معنوي غير محسوس "الإقصار" الذي نفاه صاحب البيت فتكون "عن" بمعنى "الباء"- التي يناسب معناها- ما يمكن أن يعلق بالنفس من مشاعر وأحاسيس بتقدير: ولا بك إقصار ولا فيك مطمع.

جـــ- "عن "بمعنى "على": كثيرا ما يختلط الأمر عند استعمال الحرفين فيتداخل التوظيف الأول مكان الثاني والعكس، غير أن لكليهما معنى أصلي مثلما أشير إلى ذلك من قبل، المجاوزة لـــ "عنْ" والاستعلاء لـــ "على" وأما التضمين بين هذا وذاك فواقع ملموس كما في قوله جلت قدرته: ***ومنْ يبخل فإنَّمَا يبخل عنْ نفسهِ والله الغنيُّ وأنتُم الفُقَراء*** محمد/38.

في الآية الكريمة: "عن نفسه": "عن "متضمن معنى "على" والتقدير: على نفسه، ومعناها الدلالي الاستعلاء على النفس في عدم الإحسان إليها بخلا، وهو كما نرى استعلاء معنوي محض يُفهم من سياق الآية الكريمة ويبقى معنى المجاوزة المتضمن في "عنْ" قائما كما جاء في الآية وذلك بعد وانفصال عن فطرة الله التي فطر الناس عليها.

الخاتمة:

ما أمكن استنتاجه من هذه الأسطر:

1-التضمين بمفهومه الاصطلاحي: إشراب لفظ معنى آخر لمقتضيات المقال والمقام.

2- وبهذا التعريف فهو إلى علمي النحو والبلاغة ينتسب، إذ يهتم به الأول لسلامة التركيب وتأديته للمعنى بصورة يحسن السكوت عليها (التضمين النحوي).

3- علم البلاغة يضيف إلى ما سبق عند سليله علم النحو جودة المعنى وحسن وبراعة التصوير في مفهوم التضمين في علاقته بالحقيقة والمجاز والكناية وغيرها من ألوان التصوير البياني.

4- ومستوياته: تشمل أقسام الكلم في العربية، عند علمائنا الأقدمين (اسم وفعل وحرف) وذلك وفقا للمفهوم المشار إليه سابقا.

5- التضمين بين القياس والسّماع: أثيرت في ذلك آراء حول القياس والسماع ليس لذكرها مجال هنا، إذ أقرّ بقياسه مع[47] شروط:

- تحقيق المناسبة بين الفعلين.
- وجود قرينة بين اللفظين تؤمن اللبس.
- ملاءمة التضمين للذوق اللغوي والبلاغي.

6- التضمين شكل من أشكال الاتساع اللغوي، أقره علماء اللغة العرب واشترطوا فيه حسا لغويا وحذقا بمعاني الألفاظ المتضمنة لمعاني بعضها، لأن اللفظ كما يقول ابن جنّي: "يكون بمعناه في موضع دون موضع على حساب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا"[48].

7- اعتمد المقال على مصطلحي الأداة والحرف بمعنى واحد، كونهما يؤديان وظيفة تركيبية هي التعليق، إضافة إلى اصطباغ كل فئة منها بالمعاني الإضافية التي تؤديها مع التعليق، واقتصر المقال أيضا على بعض حروف الجر - عينة لبقية الأدوات- ولكونها تتعلق بقسيميها الاسم والفعل توخيا لإبراز وظيفة الحرف مركبا مع غيره في الكشف عن المعنى في أدق صورة.

المراجع:

* القرآن الكريم، لرواية حفص، دار ابن كثير، دمشق، ط01، 2004.

* الحديث الشريف: صحيح البخاري / عالم الكتب /بيروت، ط4 .1985

1- لسان العرب /ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج8، 90، مادة "ضمن".

2- مختار الصحاح/ أبو بكر الرازي/ ت.مصطفى ذيب البغا/ دار الهدى/ط4، 1990، ص.25.

3- القاموس المحيط الفيروز أبادي/ دار الجيل، بيروت/ د ط، 4/ .334

4- التضمين في العربية، بحث في البلاغة والنحو/ أحمد حسن حامد/ الدار العربية للعلوم، ط1، 2001، ص40/.41

5- الكتاب/ سيبويه/ ت/ عبد السلام محمد هارون/ دار الكتب العلمية، بيروت ط3، 51./01/1988

6- التضمين في العربية/ أحمد حسن حامد/ ص.24

7- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده/ابن رشيق القيرواني/ ت: محمد محي الدين عبد الحميد/ دار الجيل، بيروت/ ط5/1981/02/84-.85

8- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة/ محمد بن علي بن محمد الجرجاني/ ت. عبد القادر حسين/ دار نهضة مصر/ د ط د ت/ ص.315

9- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/ ابن هشام/ ت. محمد محي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية- صيدا- د ط -02/.259

10- الأشباه والنظائر في النحو/جلال الدين السيوطي/ ت. فايز ترحيني/ دار الكتاب العربي- ط1- 1984- ص01/.133

11- الخصائص/ أبو الفتح عثمان ابن جن/ ت/عبد الحكيم بن محمد/المكتبة التوفيقية/ د ط – د ت/ 205./02

12- التعدية والتضمين في الأفعال/ عبد الجبار توامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999/ ص.110

13- شرح كافية ابن الحاجب/ رضي الدين الاستراباذي/ ت. ايميل بديع يعقوب/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط1981/01، ص139./04

14- الإنصاف في مسائل الخلاف/ أبو بركات الأنباري/ ت. محمد محي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية، صيدا، د ط د ت، 97/01، مسألة 14.

15- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/ دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع/ د ط – د ت/ 24./01

16- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة/ فاضل مصطفى الساقي/ مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، د ط، ص.162

17- أمالي ابن الحاجب/ لأبي عمرو عثمان ابن الحاجب/ ت. فكر صالح سليمان قدارة، دار عمان الأردن، دار الجيل، 1989، ص685./02

18- ينظر: الأشباه والنظائر السيوطي/11/02 و: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة/ فاضل مصطفى الساقي، ص.264

19- النحو الميسر/ محمد خير حلواني/ دار المأمون للتراث، دمشق/ ط01-1997/ ص02/ .579

20- الجنى الداني في حروف المعاني/ الحسين ابن قاسم المرادي/ ت. فخر قباوة ومحمد نديم فاضل/ دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط02، 1983، ص.603

21- السابق نفسه/ ص.261

22- مغني اللبيب ابن هشام/ 221/01+236+203.

23- الجنى الداني في حروف المعاني/ المرادي، ص582+583.
24- النحو الميسر/ محمد خير حلواني/02/580.
25- الكتاب /سيبويه / 01 /12.
26- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة/فاضل مصطفى الساقي/ ص 203.
27- الكتاب/ سيبويه/01/ 12.
28- ينظر: الجن الداني في حروف المعاني/ المرادي، ص36، و: النحو الميسر/ محمد خير حلواني، 02/ 213.
29- النحو الوافي/عباس حسن/ دار المعارف بمصر/ د ت – ط04/ ص02/537.
30- الأزهية في علم الحروف/ علي بن محمد النحوي الهروي/ ت. عبد الحسين الملوحي/ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1981/ ص283.
31- رصف المباني في شرح حروف المعاني/ أحمد بن عبد النور المالقي/ت. أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق، ط03، 2002، ص430.
32- التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن عاشور/ الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984/ ص29/155.
33- النحو الميسر/ محمد خير حلواني/ 02/623.
34- رصف المباني في شرح حروف المعاني/ المالقي/ ص388.
35- أسرار العربية/ أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري/ ت. محمد بهجة البيطار، عاصم بهجت البيطار/ دار البشائر دمشق/ ط02، 2004/ 232.
36- التحرير والتنوير/ ابن عاشور/ 26/306.
37- الميسر/ محمد خير حلواني/02/584.

38- رصف المباني في شرح حروف المعاني/ المالقي/ ص.394

39- مغنبي اللبيب/ ابن هشام/ 537+.538

40- دراسات لأسلوب القرآن الكريم/ محمد عبد الخالق عضيمة/ دار الحديث القاهرة، د ط /2004/ ص09/.184

41- النحو الميسر/ محمد خير الحلواني/ ص02/ .621

42- الأزهية في علم الحروف/ الهروي، ص275، و: الجنى الداني في حروف المعاني/ المرادي، 477+.478

43- معاني الحروف/ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي ت. عبد الفتاح اسماعيل شلبي/ دار نهضة مصر، د ط د ت ص.55

44- اللامات/ أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجي/ ت. مازن المبارك/ دار الفكر/ ط02، 1985، ص.65

45- الجنى الداني في حروف المعاني/ المرادي/ ص.242

46- معجم الأفعال المتعدية بحرف/ موسى بن محمد الملياني الأحمدي/ دار العلم للملايين، بيروت، ط01، 1979، ص.295

47- النحو الوافي/ عباس حسن/ 02/.572

48- الخصائص/ ابن جني/ 205/02.